(الأدب العربي قديما وحديثا): المحاضرة الحادية عشرة

السداسي الثاني

الشعر الثوري

تعريفه، وظيفته، تاريخه في القديم والحديث، خصائصه، نماذج منه

1. مدخل

لم يكن الشعر في الأدب العربي يوماً مجرد ترفيه أو زينة لفظية، بل كان سلاحاً فكرياً وروحياً يعبر عن أعماق الإنسان العربي في مواجهة الظلم والاستبداد والانحطاط. ومن أبرز أشكال هذا الشعر: الشعر الثوري، الذي يجسد روح التمرد والتغيير والدعوة إلى العدل والحرية. بل أدّى الأدب عامة، والشعر منه خاصة، دور الجندي المجهول، في كل الثورات، فكان الشعر الممهد لها، والداعي إليها، والناقل لأحداثها في قالب مؤثر. وعلاقة الشعر بالثورة علاقة أزلية صعبة الانفصال، وأن الكلمة كانت وما زالت سلاحا آخر، لا يقل عن خطر السيف.

2. الثورة

الثورة لغة: هي الهيجان والغضب والوثوب والظهور؛ ***والثورة:*** اصطلاحا تستخدم في سياقات ومعان عديدة، إذ قد يكون إشارة إلى تغيرات جذرية وأساسية في حقل من حقول العلم والمعرفة، كالقول بالثورة الصناعية، أو الاقتصادية أو الثقافية. أو قد يكون إشارة إلى تحولات رئيسية في البنى الاجتماعية والسياسية. وغالبًا ما يشير مفهوم الثورة إلى تغيرات تحدث عن طريق العنف والانقلاب في بلد ما.

3. الشعر الثوري

الشعر الثوري: هو الشعر الذي يحمل في طياته روح التمرد والثورة على الواقع المستبد أو الظالم أو الجامد. ***إنه ذلك*** الشعر الذي يشحذ النفوس ويشحنها، بالروح النضالية والتعبئة الثورية، ويخلق الرأي العام المناهض للاحتلال أو السلطة، ويرفع الروح المعنوية للمقاتلين، ويبقى هذا الشعر بعد انتصار الشعوب أغنية عز وكرامة خالدة، ترددها الأجيال اللاحقة. ***وهو:*** الشعر الذي يدعو إلى التغيير الجذري،

ويعبر عن رفض الظلم الاجتماعي أو السياسي أو الديني، ويحرض على الكفاح من أجل الحرية والعدالة والكرامة. يقول شوقي ضيف "إن الشعر الذي يحمل روح التمرد والخروج على المألوف يُعدُّ ثورياً بطبيعته"،

4. تاريخ الشعر الثوري

يؤكد حنا الفاخوري أن الشعر الثوري ليس مقتصراً على العصر الحديث، بل هو ظاهرة مستمرة، تعكس الوعي بالقهر والرغبة في التحرر عبر كل العصور.

1.4. الشعر الثوري الجاهلي

يُعدُّ شعر الصعاليك أول تجليات الشعر الثوري في الأدب العربي، والصعلوك في اللغة هو الفقير الذي يخرج على قيم القبيلة وأعرافها، فيعيش حراً متمرداً. يقول شوقي ضيف "الصعلوك في الجاهلية لم يقف عند دلالته اللغوية الخالصة (بمعنى الفقير)، بل أصبح رمزاً للتمرد على المجتمع القبلي". ومن أمثلته قصيدة لامية العرب، للشنفرى الأزدي، وهي نموذج كلاسيكي للثورة على الواقع، تعبر عن رفض الانتماء القبلي والدعوة إلى الحرية الفردية. قال الشنفرى:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم ... فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لأَمْيَلُ
فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ ... وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ
وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى ... وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ ... سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ
وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ
هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ ... لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ

ومن الشعراء الصعاليك المشهورين **تأبط شراً** (ثابت بن جابر): الذي يمجد شعره حياة الغزو والتمرد، ويصف الفقر والعزلة كوسيلة للكرامة. يقول أحمد حسن الزيات عن هذا الشعر بأنه "صرخة تمرد على الظلم الاجتماعي".

2.4. الشعر الثوري الإسلامي

مع ظهور الإسلام تحول الشعر إلى أداة ثورية دينية وسياسية، فالشعر في صدر الإسلام مثل ثورة على الوثنية والاستبداد القرشي، يقول حنا الفاخوري: "الشعر في صدر الإسلام كان سلاحاً في خدمة

الدعوة الجديدة". ومن أمثلته أولئك الشعراء الذين امتدحوا النبي -ﷺ- والإسلام، وهجوا الأعداء والكفار، كما فعل حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، الذي قال:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

أما الشعراء من الكفار فقد اشتهر منهم ثلاثة، هجوا الرسول -ﷺ- وشعراءه، وهم: عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحرث وضرار بن الخطاب، ولم يصلنا من شعرهم شيء؛ وبالجملة لقد كان هذا الشعر ثورة فكرية شاملة.

3.4. الشعر الثوري الأموي:

بلغ الشعر الثوري ذروته في شعر الخوارج الذين ثاروا على السلطة الأموية باسم العدل والمساواة؛ ويصف شوقي ضيف هذا الشعر بأنه "شعر ثوار يستعذبون الموت"، ويؤكد حنا الفاخوري أن شعر الخوارج "ثوري في مضمونه وشكله". ومن أشهر أعلامه قطري **بن الفجاءة حيث** يمجد الجهاد والتمرد، **إذ يقول:**

أَلاَ فَتًى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ... وَيَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ

ومنهم عمران بن حطان شاعر الخوارج الأول، الذي مدح عبد الرحمان بن ملجم قاتل الإمام علي -كرم الله وجهه- إذ يقول:

لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثام عريانا

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

ومن الطريف أن يرد عليه -ولو في العصر العباسي-، شاعر جزائري، يدعى بكر بن حماد، حيث يقول:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة * * *هدمت ويلك للإسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم * * *وأول الناس إسلاماً وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * * *سن الرسول لنا شرعاً وتبيانا

صهر النَّبي ومولاه وناصره * * *أضحت مناقبه نوراً وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له * * * مكان هارون من موسى بن عمرانا

ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت: سبحان رب العرش سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أزمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ... ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أوردته لظى ... فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصداً بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

4.4. الشعر الثوري العباسي:

في هذا العصر اتخذ الشعر الثوري طابعاً فردياً واجتماعياً. يقول شوقي ضيف: "إن أبا نواس ثائر على التقاليد"، وكانت ثورته على الوقوف على الأطلال، حيث استفتح بالتغني بالخمرة بدلها، ومن ذلك قوله:

عاجَ الشَقِيُّ عَلى دارٍ يُسائِلُها ... وَعُدتُ أَسأَلُ عَن خَمّارَةِ البَلَدِ
لا يُرقِئُ اللَهُ عَينَي مَن بَكى حَجَراً ... وَلا شَفى وَجدَ مَن يَصبو إِلى وَتَدِ
قالوا ذَكَرتَ دِيارَ الحَيِّ مِن أَسَدٍ ... لا دَرَّ دَرُّكَ قُل لي مَن بَنو أَسَدِ
وَمَن تَميمٌ وَمَن قَيسٌ وَإِخوَتُهُم ... لَيسَ الأَعاريبُ عِندَ اللَهِ مِن أَحَدِ
كَم بَينَ مَن يَشتَري خَمراً يَلَذُّ بِها ... وَبَينَ باكٍ عَلى نُؤيٍ وَمُنتَضَدِ

وفي فخر المتنبي وطموحه ثورة، كقوله:

أنا الذي نظَر الأعمى إلى أدبي ... وأسْمَعَت كلماتي مَن بهِ صَمَمُ
أنامُ مِلْءَ جُفُوني عن شوارِدِها ... ويَسْهَرُ الخلقُ جرَّاها وَيَختَصِمُ

5.4. الشعر الثوري العثماني

يمتد هذا العصر من سقوط بغداد (656 هـ/1258 م) إلى حملة نابليون (1213 هـ/1798 م). وتوصف هذه الفترة بعصر الضعف والانحطاط، حيث تراجع الشعر الثوري، بسبب الاستبداد والغزوات، ولم يكن هناك شعر ثوري بارز يُذكر، بل كان الشعر غالباً تقليدياً أو مدحياً. ومع ذلك يمكن الإشارة إلى بعض النماذج المحدودة من الشعر المقاوم في الأندلس المتأخر أو في مواجهة الغزو المغولي، لكنها لم تكن ثورية بالمعنى الواسع. هذه الفترة كانت فترة ترقب للنهضة.

6.4. الشعر الثوري الحديث:

مع النهضة العربية والحركات التحررية برز الشعر الثوري الوطني، ليعبر عن الثورة الشاملة ضد الاستعمار. الذي احتل كل الدول العربية تقريبا، واحتل فلسطين، موطن المسجد الأقصى المبارك. وقد حاول الشعراء جهدهم أن يكونوا صوت الأمة، مجاهدين بأقلامهم وألسنتهم، ومنهم علي محمود طه في قصيدة فلسطين، حيث يقول:

أَخَيْ جَاوَزَ الظَّالِمُوْنَ المَدَى ... فَحَقَّ الجِهَادُ وَحَقَّ الفِدَا
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُوْنَ العُرُوْبَةَ ... مَجْدِ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْددا
وَلَيْسَ بِغَيْرِ صَلِيْلِ السُّيُوْفِ ... يجيبون صوتا لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده ... فليس له بعد أنْ يُغمدا
أخي أيها العربي الأبيُّ ... أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخي أقبل الشرق في أمة ... ترد الضلال وتحي الهدى
أخي إنَّ في القدس أختا لنا ... أعدَّ لها الذابحون المدى
صبرنا على غدرهم قادرين ... وكنا لهم قدراً مرصـــدا
طلعنا عليهم طلوع المنون ... فطاروا هباءً وصاروا سدى
أخي قم إلى قبلة المشرقين ... لنحي الكنيسة والمســجد

ومن أبرز شعراء الثورة، مفدي زكرياء، صاحب إلياذة الجزائر، والنشيد الوطني، وديوان اللهب المقدس، حيث يقول:

ومنهم العلامة المصلح ابن باديس، إذ يقول، محرضا الشباب الجزائري، إذ يقول:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ ... وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ ... أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ ... رَامَ الْمُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ
يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا ... وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا... وَخُضِ الْخُطُوبَ وَلاَ تَهَبْ

ومنهم الشاعر الجزائري أحمد سحنون، وله ديوان من جزئين، ومنها قوله:

قسماً بالنازلات الماحقات ... والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات ... في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات ... وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
نحن جند في سبيل الحق ثرنا ... وإلى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصغى لنا لما نطقنا ... فاتخذنا رنة البارود وزنا
وعزفنا نغمة الرشاش لحنا ... وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا
يا فرنسا قد مضى وقت العتاب ... وطويناه كما يطوى الكتاب
يا فرنسا إن ذا يوم الحساب ... فاستعدي وخذي منا الجواب
إن في ثورتنا فصل الخطاب ... وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا

5. الخصائص الفنية للشعر الثوري ومميزاته

أبرز عمر فروخ أن الشعر الثوري يتميز بالصدق العاطفي والحماس، الذي يحول الشعر إلى سلاح مؤثر"، وهذه جملة من خصائصه الفنية التي تجعله مؤثراً:

1.5. **الحماسة والعاطفة الجياشة:**

2.5. **اللغة المباشرة:**

3.5. الإيقاع القوي:

4.5. التكرار للتحريض:

5.5. الصور الثورية: كاستخدام رموز الحرية (السيف، النار، الدم) والتمرد (الصعلوك، الثائر).

6.5. الصدق والواقعية: يبتعد عن التكلف، كما يؤكد شوقي ضيف في دراسة ابن الرومي.

7.5. الدعوة إلى الفعل: ليس وصفاً بل تحريضاً (المتّنبي، مفدي).

8.5. التجديد في الشكل: كثورة أبي نواس على المقدمة الطللية؛ مفدي يمزج الشعر بالأناشيد الوطنية

9.5. ربط أراد المجتمع:

10.5. المحافظة على الهوية:

11.5. الخلود لتعبيره عن القيم الإنسانية الخالدة.